أنثروبولوجيا العلاقات الحضارية بين الشعوب
زيارة الاربعين انموذجا.

د. علي اسماعيل الكرعاوي
كلية التربوية المفتوحة _ النجف
gmail.com@dr.alisptiy

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
صفر الخير - ١٤٤٦هـ ,أيلول - ٢٠٢٤م

ملخص البحث:

تناول البحث الحالي الموسوم (أنثروبولوجيا العلاقات الحضارية بين الشعوب/ زيارة الاربعين انموذجا) طبيعة مفهوم البعد الفكري لأنثروبولوجيا الزيارة الاربعينية المباركة المعبر عن المنظومات الاجتماعية والفكرية والفلسفية بإطار العلاقات الحضارية بين الشعوب إذ ان الشعوب المختلفة الاسلامية وغير الاسلامية تماهت فكريا واجتماعيا وسلوكا انسانيا في الحدث العالمي لزيارة الاربعين من حيث الزمان والمكان وصولا الى المثاقفة فيما بينها اجتماعيا كأقوام وشعوب متنوعة من حيث العرق ومختلفة من حيث الافكار والمرجعيات العقائدية لتكون تحت مظلة الخطاب الانساني الذي امتاز بجماليات افكاره التي تنوعت من حيث العناصر المكونة للخطاب الديني الانثروبولوجي المختلف متضمنا البعدين الفكري الاجتماعي والتسجيلي (التوثيقي) معا.

فضلا عن الدور الانساني العالمي الذي جسده الفرد العراقي في مختلف العلاقات المتداخلة اجتماعيا ذات البنية المعتمدة على الأسس المعرفية الرصينة كالنص القرآني الكريم والحديث النبوي الشريف واقوال الامام المعصوم كمرجعيات اسلامية و أنثروبولوجيا مغذية لفكرة التواصل بين الشعوب المتعددة التي تُحي زيارة الأربعين سواء كان الفرد عراقيا او عربيا او اجنبيا وعلى المستوى الدولي الثقافي من خلال وسائل التواصل الاجتماعي متجليا ذلك في الخطاب الانثروبولوجي بكل حمولاته الفكرية الدينية والثقافية والرمزية والجمالية لما يدور في الفضاء الواسع الرحب لزيارة الاربعين المباركة.

اتخذ الخطاب الانثروبولوجي التنوع والمشاكلة والاختلاف الفكري في بنية العلاقات الاجتماعية المغذية لسلوك الافراد اجتماعيا والتي شكلت المنجز الانساني الابداعي لتجليات زيارة الاربعين.

تناول الباحث مفهوم الأنثروبولوجيا فكريا وفلسفيا وتطبيقه عمليا في العلاقات المتولدة من خلال تثاقف الشعوب واندماجها مع بعضها البعض رغم الاختلاف في العادات والتقاليد والاعراف والبيئة الحاضنة لهم اجتماعيا وعملية الكشف عن العوامل والعناصر الداخلية والخارجية المغذية لأنثروبولوجيا زيارة الاربعين المباركة متماشيا مع هدف البحث الحالي (في الكشف عن الاليات الأنثروبولوجيا للعلاقات الحضارية بين الشعوب) حيث تناول الباحث المنهج الوصفي التحليلي في كتابة خطة البحث.

الكلمات المفتاحية: الأنثروبولوجيا، الفكري، الحضارية، الشعوب، الاربعين.

Anthropology of civilizational relations between peoples/ visiting the forty models.

M.D. Ali Ismail Al Karaawi
Open Educational College/ Najaf Al-Ashraf.

Abstract

The current research titled (Anthropology of Civilizational Relations between Peoples/ The Forty Visit as Examples) dealt with the nature of the concept of the intellectual dimension of the anthropology of the Blessed Forty Visit، which expresses the social، intellectual and philosophical systems within the framework of civilizational relations between peoples، as the various Islamic and non-Islamic peoples identified themselves intellectually، socially، and in human behavior in the global event of the Visit. Forty in terms of time and place leading to acculturation among themselves socially as peoples and peoples diverse in terms of race and different in terms of ideas and doctrinal references، to be under the umbrella of human discourse، which was distinguished by the

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
المجلد الثاني، العدد الثاني،الجزء الثالث السنة الثانية
www.arbnj.com

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
صفر الخير - ١٤٤٦هـ ,أيلول - ٢٠٢٤م

aesthetics of its ideas، which varied in terms of the components that constitute the different religious anthropological discourse، including the social intellectual and documentary (documentary) dimensions. together.

In addition to the global humanitarian role embodied by the Iraqi individual in various socially interconnected relationships with a structure based on solid cognitive foundations such as the Holy Qur'anic text، the noble Prophet's hadith، and the sayings of the infallible Imam، as Islamic anthropological references that nourish the idea of communication between multiple peoples that commemorates the Arbaeen pilgrimage، whether the individual is Iraqi، Arab، or Foreignly and at the international cultural level through social media، this is evident in the anthropological discourse with all its religious، cultural، symbolic and aesthetic intellectual loads of what is going on in the wide، spacious space of the blessed Arbaeen visit.

Anthropological discourse took into account diversity، problems، and intellectual differences in the structure of social relations that nourished the behavior of individuals socially، which constituted the creative human achievement of the manifestations of the Arbaeen visit.

The researcher dealt with the concept of anthropology intellectually and philosophically and its practical application in the relationships generated through the acculturation of peoples and their integration with each other despite the difference in customs، traditions، customs and the socially incubating environment for

them، and the process of revealing the internal and external factors and elements that nourish the anthropology of the Blessed Fortieth Visit in line with the goal of the current research (in revealing... Anthropological mechanisms of cultural relations between peoples)، where the researcher used the descriptive and analytical method in writing the research plan.

key words: Anthropology، intellectual، civilizational، peoples، forty.

مقدمة:

توجد عده عوامل باعثه دافعه تكون فيها العلاقات الاجتماعية فيما بين المجتمعات الإنسانية وفق إطار وسياق خاص يتضمن منظومة من الاساسيات التي تكوِّن بنية المجتمعات الإنسانية الباحثة عن صيغ للتواصل مع الاخر رغم الاختلاف والتنوع في الثقافات والشعوب والأعراق.

تعتمد الحركة الأنثروبولوجيا المجتمعية على مرجعيات مختلفة من حيث العقيدة والفكر والعادات والتقاليد والاعراف السائدة لكل مجتمع المغذية لأفكاره ثقافيا ومعرفيا كبؤرة مركزية يمكن ان ينطلق منها الانسان وفق سلوكياته الإنسانية كفرد او مجموعة او جماعة في المجتمع المعاش وحسب بيئته الجغرافية التي استقر فيها مكونا من خلالها شخصيته الثقافية والعقائدية والدينية.

يستلهم الانسان سلوكه وافكاره من القيم المجتمعية التي تتناغم ايجابا مع تطلعاته ومنطلقاته التي يبحث عنها مع الاخر كشعب او حضارة اخرى تربطه بها علاقة متماسكة من الود والاحترام المتبادل موظفا بشكل منهجي امكانياته المعرفية ماديا

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
المجلد الثاني، العدد الثاني،الجزء الثالث السنة الثانية

ومعنويا وصولا الى ما يعتقد به من طروحات تأخذ حيزها المادي على ارض الواقع الذي يعيش فيه وبيئته التي احتضنته وترعرع فيها مدة من الزمن.

ان المجتمع الاسلامي بشكل عام يسير وفق منظومة إسلامية روحيه انسانية لها سياقها الخاص بالاعتماد على الخزين المعرفي للدين الاسلامي الحنيف اذ يعد من اهم الاساسيات التي توجه حياة الانسان المسلم (كالقران الكريم والحديث النبوي الشريف) فضلا عن اقوال الأئمة المعصومين عليهم السلام والفقهاء والصالحين والنصوص البلاغية القولية التي بالإمكان استثمارها ايجابا متناغمة مع واقع حياته الاجتماعية الأنثروبولوجية التي شحنت بأفكار مشوشة ومشوهة في عالمنا المعاصر الذي نعيش فيه الان وفي ذات الوقت مبتعدين عن اهم القيم المجتمعية التي تربط الشعوب المتنوعة حضاريا فيما بينها وتقرب الانسان من انسانيته.

ان المناسبات الدينية في المجتمعات الإنسانية قديما وحديثا تعد نقاط ارتكاز مهمة مضيئة يمكن من خلالها البحث عن الاخر والتواصل معه وبالأخص اذا كانت هذه المناسبات الدينية تأتي وفق منظومة مجتمعيه بإطار اسلامي يأخذ على عاتقه كل السبل في الاندماج والانصهار حضاريا مع الشعوب الاخرى.

ان الانسان المسلم يعيش في اجواء روحانية لأيام معلومة من بداية عامه الهجري الى نهايته منها ما يأتي بها ضمن عباداته التي فرضت عليه كواجب عبادي ديني متفاعلا معها بشكل ملفت للنظر كالمناسبات المفرحة مثل (عيد الفطر المبارك وعيد الاضحى ويوم الغدير) وفي الوقت ذاته هناك ايام تكون فيها مناسبات لأيام حزينة على نفس هذا الانسان المسلم كيوم عاشوراء في محرم الحرام ذكرى استشهاد الامام الحسين عليه السلام والذكرى السنوية الاخرى التي تأتي مباشرة في شهر صفر الخير هي زيارة الاربعين المباركة.

ان عملية الاحتفال للإنسان المسلم بمثل هذه المناسبات تدخل ضمن شعائر وطقوس خاصة هي مباحة لكل المسلمين وفي كل ارجاء المعمورة ولكن المفارقة الاجمل هو ان العراق كبلد له من الخصوصية في مثل هذه المناسبات الحزينة يأخذ بنظر الاعتبار قدسية الاماكن التي تتواجد فيها مثل هذه المناسبات كزيارة الاربعين المباركة في جغرافية كربلاء المقدسة حيث الجمع والحشود المليونية لعدد كبير من المسلمين المختلفين في الشعوب والاقوام والحضارات وبلدانهم التي جاءوا منها وتوافدوا الى زمان ومكان معين من السنة إذ يحيون بكل شغف وحب وشوق مراسيم زيارة الاربعين المباركة.

تمهيد:

يتضمن البحث الحالي محورين:

الاول: البعد الفكري الانثروبولوجي للعلاقات الحضارية.
ثانيا: منظومة القيم الدينية الأنثروبولوجيا لزيارة الاربعين بين الشعوب.

استهلال:

الأنثروبولوجيا علم حديث النشأة نسبيا وذو طموح شمولي (اي دراسة شاملة للإنسان) فالأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية تعني ما توصل اليه علم الاثنيات وهي ضرورية جدا لفهم تاريخ الثقافة اذ ان تطوره من حيث الاهداف والمناهج يفسر تطور العلوم الإنسانية جميعا كما انه يعبر عن التقلبات المعاصرة التي طرأت على مفهوم الثقافة. (ميشال، ٢٠٠٤، ص:٥٧).

كانت الأنثروبولوجيا في البداية علما في الوراثة متماثلة مع دراسة تاريخ الشعوب

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
المجلد الثاني، العدد الثاني، الجزء الثالث السنة الثانية

والحضارات دون ان تحاول اعطاء معنى خاص لمجتمع ما باعتباره كيانا مستقلا ثم طرح بعض العلماء مفهوم الظاهرة الاجتماعية الشاملة وربطها بإطارها الاجتماعي وبعلاقاتها بظواهر اخرى ضمن مجموعة ينظر اليها كنظام متكامل إذ ادخلت هذه التغييرات الفكرية ومنها التخلي عن النظرية العرقية ودراسة خصوصية الاحداث البشرية بربطها بمجتمعها الخاص فكرة التعددية الثقافية الى الوعي الجماعي. (ميشال، ٢٠٠٤، ص:٥٩).

ان مفهوم علم الأنثروبولوجيا يفهم بمعناه الواسع معرفة الانسان الجامع لمناهج مختلفة وانظمه متنوعة ستكشف لنا ذات يوم الحوافز الخفية التي تحرك هذا الضيف الحاضر دون دعوة في كل مناقشاتنا متجسدة في الفكر البشري، هذا الموقف الانثروبولوجي الذي لا يبغي اخفاء شيء من المحركات الاجتماعية للرموز والذي يوجه البحث في نفس الوقت نحو التحليل النفسي والمؤسسات الطقوسية والرمزية الدينية والشعائر والاساطير والايقونات وعلم النفس. (دوران، ٢٠٠٦، ص٢٣)

ان علم الأنثروبولوجيا تخصص معرفي نشا وتطور في المجتمع الغربي وقد اولى فيه الباحثون اهتماما كبيرا بظاهرة التنوع والاختلاف في الثقافات البشرية، ومفادها ان الظاهرة المذكورة تعكس اختلافا طبيعيا وواقعيا بين شعوب العالم واعراقها وعقلياتها ومجتمعاتها. (حبيدة، ٢٠١٤، ٤٢)

يميل علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا في مطلع القرن العشرين الى دراسة نماذج من مجتمعات معينة ومن خلال اليات بحثيه عملية ميدانية ونظرية أكاديمية تسلط الضوء بشكل مباشر على اسباب ظاهرة اجتماعيه معينة دون غيرها ولأسباب منطقية وصولا الى اسبابها ومظاهرها والعوامل الداخلية والخارجية المغذية لها ومن

ثم النتائج التي تترتب عليها كموضوع قائم بذاته في ميدان علم الانثروبولوجي.

اظهر ارتفاع وعي المؤسسات الدينية والثقافية المتزامنة مع ارتفاع وعي المواطن الموالي المحب لآل البيت عليهم السلام والمواكب للتحولات الاجتماعية والثقافية معا ولكونها تتطابق مع توجهات مفهوم نخبوي للثقافة الاجتماعية على الصعيد الاجتماعي ورعائي على المستوى الاقتصادي بإطار محافظ في اغلب الاحيان، مما ترتب عليه تبلور فكرة تواشج في أنثروبولوجيا حضارية ثقافية ذات لون ومسحة وصبغة مضمونها المنبثق من زيارة الاربعين المباركة كي تتوج كل هذا الانتاج الانساني الاجتماعي الثقافي المعرفي بإطار عقائدي يأخذ على عاتقه الوصول والتوصل الى غايات مرسومة مسبقا الهدف منها رفد زيارة الاربعين بكل ما هو جديد في عالمنا المعاصر الذي نشهد فيه التحديات الثقافية الكبرى ومؤسساتها المؤدلجة باتجاه الابتعاد عن بث الثقافة البشرية و الطاقات السلبية لجموع المجتمعات والشعوب التي انضوت تحت عنوان زيارة الاربعين المباركة.

المحور الاول
البعد الفكري الانثروبولوجي للعلاقات الحضارية

شهد العراق بعد سقوط النظام السابق نهوضا للمؤسسات الدينية والثقافية والإعلامية وتكاثرها تعبيرا عن أيديولوجيا معلنة مسبقا وباستمرار بحيث ان الفضاء العام لزيارة الاربعين هو من يجمعنا ببعديها الفكري العقائدي والحضاري مجسدة في الوقت ذاته مكانة الامام (الحسين عليه السلام) في قلوب المؤمنين الوافدين من بلدان وقوميات مختلفة وثقافات متعددة وحضارات متنوعة.

ان تنوع واختلاف وسائل الاعلام المسموع والمرئي ومنها والسوشيال ميديا والسلطات العامة دولة كانت ام مؤسسات ثقافية ودينية وجمعيات اهلية ومواكب حسينية اعطيت مساحة و صلاحيات لإنتاج ثقافة حضارية متنوعة وحسب التقاليد الوطنية وبيئاتها التي احتضنتها فكريا وثقافيا والتي انبثقت منها مما ادى هذا التنوع أنثروبولوجيا الى استجابات متزايدة من قبل الحشود المليونية المتزايدة في كل عام مع الاخذ بالدور الملقى على عاتقها في انجاح الزيارة الأربعينية لكل ابعادها الإنسانية والحضارية بين الشعوب المتآلفة في ذروه الزيارة الأربعينية.

ان من اهم الادوار التي يشار لها بالبنان هي المحافظة والتواصل الفكري الحضاري الثقافي من وجهه نظر الشخوص التي تدير دفة الزيارة الأربعينية سياسيا واقتصاديا واعلاميا ان هذا الدور ليس احادي المسؤولية فهو عبارة عن مجموعة من الأنظمة والنشاطات والفعاليات المختلفة في بُعدها الثقافي والأيديولوجي فالمنتج لمثل هكذا خطاب ذو تجمعات بشرية هي الأكثر عددا على الكرة الأرضية وفي عالمنا المعاصر اليوم هم من نفس الحشود البشرية التي تتبنى موضوعة تقديم الخدمات والتواصل مع الاخر

مهما كان جنسه او ثقافته او قوميته ومن اي حضارة كانت فالمهم ان يتواجد في مكان وزمان محدد معين بالذات ليكون من ضمن المنظومة الانسانية لزيارة الاربعين المباركة والتي يرى فيها الزائر مهما كان عنوانه التعدد في الخدمة والمواقف والسلوك الانساني.

ان البعد الفكري للثقافة الحضارية الحقيقية اي تلك التي توجه التفكير والتأملات البشرية هي التي تحدد بنوع من الغرضية النزوع الطبيعي الذي تشكله الانعكاسات الغالبة التي تلعب بالنسبة اليه دور الوصي الغريزي، ومن المؤكد ان الانعكاسات البشرية بفقدانها للوضوح والدقة الذين نجدهما عند اغلب اللبونات قابلة لتكيف ثقافي واسع ومتنوع ومن البديهي ان يكون هذا التكيف موجها على الاقل في خطوطه العريضة بغرضية الانعكاس الغالب. (جيلبر، ٢٠٠٦، ص:٩).

من الجدير بالذكر ان نقاط الارتكاز الأساسية في التفكير الحضاري بين الشعوب الوافدة الى زيارة الاربعين ابتعادها بشدة عن التصور العنصري الذي يربط فكريا بين ظاهرة التنوع الثقافي وبين الاختلاف العرقي ربطا ضروريا ومتلازما، فلا توجد علاقة مباشرة بين تقدم الثقافات البشرية المختلفة وازدهارها وبين ما يزعم انه امتياز وتفوق عرقي في فضاءات الحدث العالمي لزيارة الاربعين مؤكدين على اهم محور لتبني البعد الفكري بان الثقافات الحضارية البشرية التي لا تتفاضل فيما بينها وانما هناك طرح لفكرة التعادل والمساواة في سلوكيات الافراد والجماعات داخل بوتقة واحدة تندرج تحت عنوان مجتمع زيارة الاربعين.

ان الطابع العام المميز للقيم والمبادئ والاخلاق والتي تصنف بواسطتها الثقافات الحضارية يُعد من العوامل التي ترفد مناخات واجواء المحبة والود المهيمنة على سلوك الشعوب التي استقرت على ارض الواقع لزيارة الاربعين ومن تجسيد مفهوم أنثروبولوجيا

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
المجلد الثاني، العدد الثاني، الجزء الثالث السنة الثانية

الازدهار الثقافي الذي لا يتحقق الا في ظروف انفتاح الثقافات البشرية المتنوعة على بعضها البعض ليتألق مفهوم المثاقفة في بعده الحضاري ذو التوجه الانساني والذي يروم من خلاله الزائر التواصل مع الاخر في ايجاد وخلق جسور من التفاني والتفاهم الانساني.

ان التأكيد على ان الواجب الكبير الملقى على عاتق البشرية يقوم في الابتعاد عن كل نزعة عنصرية تحصر الامتياز والتفوق في سلالة بشرية معينة وفي ثقافة بشرية واحدة مهيمنه فمن المستحيل ان ينفرد جزء من البشرية بامتلاك صيغ وحلول عامه يمكن ان تنطبق على جميع الشعوب، لذا فان اختلاف الثقافات البشرية لا يرجع الى عوامل عرقيه ذاهبا الى حد القول ان مفهوم العرق ذاته هو نتاج للثقافة أكثر مما هو حقيقه بيولوجية. (حبيدة، ٢٠١٤، ص: ٤٢).

يأتي هنا الاختلاف الفكري الثقافي المتنوع للحضارات في زيارة الاربعين رغم كونه ظاهرة واقعيه لا يمكن تجاهلها إذ يرجع هذا المفهوم الى عده عوامل منها تاريخية وبيئية وعقائدية ودينية أكثر مما يعود الى عوامل اخرى، إذ ان موقف الافراد او المجموعات او الذين يدفعهم تشبثهم واخلالهم ببعض القيم والافكار والمعتقدات المنبثقة من حضارات مختلفة ان يتبنوا جزئيا او كليا توجها سلبيا لا يتجاوب مع القيم الاخرى التي ترفد مناخات الحدث العالمي لمناسبة زيارة الاربعين.

ان تلاقي الشعوب والحضارات لثقافاتها البشرية في زيارة الاربعين المباركة تعد مرتكز اساسي لكل ازدهار ثقافي ومن خلال هذا المفهوم نلاحظ التجانس الكبير والتشابه المتزايد بين انماط السلوك الايجابي في الحياة والتفكير الحضاري نتيجة لذوابان الحواجز بين الثقافات المتنوعة وتذليل العراقيل امام التواصل بين المجتمعات الإنسانية المختلفة حيث خصوصية العلاقات القديمة لتفعل حديثا والتي يعود اليها الفضل في ابداع القيم الجمالية والروحية تحت مظلة الحضارة الإسلامية في عالمنا المعاصر.

ان العراق كرقعة جغرافية وبيئة حاضنة لكثير من الشعوب والاقليات المختلفة في توجهاتها الفكرية والثقافية والدينية أُسسَ ليكون بمثابة ملجأ مفتوح في وجه جموع المسلمين التي تشترك في المعتقد الروحي وحبهم لآل البيت عليهم السلام والذوبان في شخصية الامام الحسين عليه السلام، إذ نعيش في ظل تعاليم الاسلام المحمدي الاصيل بكل ما يأتي بحمولات ثقافية من القيم والاخلاق العليا التي ترتقي بالإنسان المسلم وعن طريق السلسلة الذهبية للأئمة المعصومين عليهم السلام.

ان البعد الفكري لكربلاء/ العراق يُعد الرابط للعلاقات الحضارية المتنوعة بين الامة الاسلامية وشعوبها المختلفة وبين المعتقد في دلالته القصوى باعتبارها تجمع في ظل نفس السيادة معنويا وماديا مجالات ترابيه مسكونة لقرون من نفس الشعب العراقي المؤمن بأحقية اهل البيت عليهم السلام.

يمكن للعراق ان يتخطى فردانيته وبالإمكان الانتقال المبدع والمتجدد بعقلية ابناءه المخلصين وتعهد لا ينقطعان الى تشكيل صورة الوعد الكبير الذي تتطلع اليه الشعوب الاسلامية المختلفة وثقافاتها وحضاراتها المتنوعة الى ان يكون بؤرة باثة وباعثة لكل القيم العليا الحسينية المحمدية والتطلع الى ما تريد ان تصل اليه، اي بمعنى آخر يمكن القول ان العراق يكون ملجأ ليس لمواطنيه فقط وانما لكل القوميات وبعدها الفكري الحضاري المختلف التي تتواجد في رحاب زيارة الاربعين المباركة ولكل اولئك الذين سيطلبون بتأمل وروحانية وشغف يوما ما ان يعيشوا فيه ظل هذه الاجواء المفعمة بالود والسلام والتعايش السلمي حضاريا وثقافيا، و ضمن جماعات وشرائح المجتمع العراقي الاصيل مع الاحتفاظ بالأعراف والتقاليد لحضاراتهم ومعتقداتهم المختلفة التي جاءوا منها.

ان الدراسة الأنثروبولوجيا لمشهد زيارة الاربعين وبُعدها الفكري الحضاري تُبنى

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
المجلد الثاني، العدد الثاني، الجزء الثالث السنة الثانية

على صور وافكار اولى تفرضها الملاحظة وتدفع اليها المقارنة بحيث ان هذين البُعدين اعلاه في طريقة البحث الاكاديمي الميداني التطبيقي يؤسس له من خلال دراسة تأخذ على عاتقها كل سبل البحث العلمي الرصين ومن قِبل باحثين وعلماء متخصصين في شأن الثقافة الدينية والإسلامية فمن خلال اختيار هذا اللون من الثقافة واعتبارها حقلا للتأمل والبحث والاستخلاص وهو فضاء واسع ومهم ممكن ان يُتبع ليشمل العقيدة لمختلف الشعوب والحضارات ويفصل في اشكال التدين وتلويناته الطقوسية في المناسبات الدينية العالمية كزيارة الاربعين التي تأتي كل عام بالجديد والمختلف في الافكار المطروحة نظريا والتي يطبق البعض منها في سبيل اعلاء شأن هذه المناسبة العالمية التي تستحوذ على مساحة واسعة من تفكير الانسان المسلم العراقي والاجنبي على حد سواء، إذ من خلال هذا الحدث العالمي نلاحظ تفعيل الجانب الفكري لأنثروبولوجيا العلاقات الحضارية.

من الطبيعي ان نمسك بالبعد الديني لزيارة الاربعين من حيث المحاور والافكار التي تغذيها رغم اختلافها وتعقد مدخلاتها ويكون على الطرف الاخر سهولة التعامل مع المواقف التي تدخل في سياقاتها كل الطقوس والشعائر التي تذهب بعيدا بفكر الزائر القَبلية كي يكون على تماس مباشر مع افكار وعقلية قيادات المواكب والهيئات والمؤسسات التي تدار من قبل المؤمنين الذين يجمعهم هدف واحد وغاية سامية هي التشرف بخدمة زوار الامام الحسين عليه السلام، وصولا الى رضا الخالق تبارك وتعالى عن كل الافعال ربما التي تدخل في ضمنها خطايا وسيئات وذنوب ارتكبت على مدار سنين او لعام فائت في بدء زيارة الاربعين المباركة.

ان أكثر الافكار المطروحة والممارسات المختلفة للشعوب المتنوعة التي تصل الى ارض العراق في جغرافية واحدة تكون حاملة لراية الاسلام المحمدي كثقافة متنوعة

وممارسه طقوسية للمسلمين بشكل عام والشيعة ومحبي ال البيت عليهم السلام على وجه الخصوص فضلا عما يجاوره ويعايشه من ثقافات وممارسات دينية مغايره في ذات الوقت من قِبل مذاهب اخرى مختلفة ولنفس الرقعة الجغرافية التي تتم بها وفيها الممارسات الدينية والثقافية الانسانية لزيارة الاربعين.

ان الأنسان المتواجد في زيارة الاربعين يمكن ان يلمس بوضوح التنوع في الثقافات والافكار المطروحة للهيئات والمواكب التي تقدم الخدمة المجانية للزائرين بدون مقابل وبدون تفرقة تذكر بين فرد او اخر رغم الاختلاف في ألوان بشرتهم وجنسياتهم وافكارهم وحتى دلالة الزي الذي يرتدونه والاعلام التي يحملونها معبرين عن شعورهم الاسلامي والوطني تجاه قضية اصبحت مقدسه بالنسبة اليهم.

ان دقة العبارات والمعاني في الاعلانات واللافتات الكبيرة والرايات المرفرفة على طول الطريق الرابط بين المحافظات العراقية وصولا الى جغرافية كربلاء كمدينة لها قدسيتها في اشاره واضحة على دقة وعمق المعاني التي تكتب بقصدية الى الآخر ما اهلها لتنفك من مواضعها التي استقرت عليها ماديا كشعارات يرتبط موضوعة بالحدث العالمي لزيارة الأربعين وقد اختلطت بضمير الجماعات والحشود المليونية الزائرة وسط المجتمع المنبثق لزيارة الاربعين المباركة.

ان الزائر الاجنبي سواء كان عربيا اعجميا ينتابه شعور عميق بالسكينة والألفة لأنه قد وجد في مكنونات نفسه وجسده المتعب مَشيا على الاقدام ولمسافات طويلة اقرب الى النمط الديني الثقافي الذي يرمز اليه شخص الامام الحسين عليه السلام طيلة مسيرته ومشاركته في هذا الحدث العالمي السنوي إذ ينتابه شعور خاص انساني بانه قد وجد نفسه في اجواء إسلامية صرفه تأخذ على عاتقها اسكانه وحمايته واطعامه والسهر على رعايته حتى يبلغ

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
المجلد الثاني، العدد الثاني،الجزء الثالث السنة الثانية

ما يروم اليه من الوصول الى الغاية والقصد من كل هذا العناء والتعب الجسدي ليذوب تفكيره وشخصيته في شخصية واسم وعنوان الامام الحسين عليه السلام.

يمكن عرض مجموعة من الأمثلة المبنية على المشاهدة والملاحظة والاستنتاج في دلالة واضحة على نموذج معين يغذي صورة للزائر من خلال ثقافته الدينية الموضوعية.

المثال الاول: يكمن في ان المسلمين بشكل عام يؤمنون باله واحد ونبي واحد وقرآن واحد وان الشيعة يزيدون في تماسكهم أكثر باعترافهم بأحقية الامام علي عليه السلام في الخلافة وانه الوصي من بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولهذا نرى ان هذه المغذيات العقدية تزيد من تقارب الثقافات المتنوعة ولشعوب مختلفة جاءت كي تحيي مراسيم وطقوس وشعائر زيارة الاربعين.

المثال الثاني: ان كل الافكار التي تنوجد في هذه الفترة الزمنية تكون حاملة لبذور الوحدة والتوافق والتآلف فيما بين المسلمين رغم الاختلاف في حضاراتهم والعودة الى الحاضنة الام والجامع من دون تمييز يذكر بين ابناء الطائفة الواحدة.

لذلك ادمجت الافكار والسلوكيات المختلفة لهذه الاقوام المتنوعة حضاريا مع بعضها البعض في ان واحد ضمن طقوسها الموحدة في مواكب مهيبة ومسيرات منظمة وعناوين بارزه ملهمة للسلوك الانساني الخلاق في اتجاه واحد يرفد زيارة الاربعين لكل ما هو عالمي ويخدم الاخر دون أي تفرقة عنصرية لإنسان دون اخر أنثروبولوجيا.

ان الزائر الوافد في زيارة الاربعين يفضل الاجواء الإسلامية الإنسانية العربية التي تميز بها الشعب العراقي دون غيره من الشعوب الإسلامية الغني والمتنوع في ثقافته و قومياته المختلفة وفي علاقته بالتدين من خلال انتقاء الاماكن وسبل الراحة التي تقدم

للحشود المليونية واختيار الملابس السوداء التي تحمل رمزية عالية ودلالة واضحة على اجواء الحزن العميق الذي يخيم ويغطي معظم اجواء وفضاءات زيارات الاربعين المباركة بحيث يمكن ان يلاحظ الزائر رغم اختلافه عن بيئته التي جاء منها ان هناك تدرج في بث المعلومات التي تغذيه فكريا وصوريا ومعنويا طيلة مسيرته عند دخوله الاجواء والاراضي العراقية وصولا الى كربلاء المقدسة.

بمعنى اخر انه يبقى مستندا الى فكرة وقاعدة الثراء الروحي الذي يخيم على خَدَمة الامام الحسين (عليه السلام) (اصحاب المواكب) لان المتشرف بخدمة زوار الحسين (عليه السلام) يجد في نفسه نقطه اتصال جمالي روحي واقعي مع الاخر الذي يتوق اليه والى تقديم خدماته اليه مرتبطا بتعاقد غيبي متواشج معه ومع معتقداته التي آمن بها وعن قناعة تامة وكاملة بأن النهج الذي يسير عليه هو الصواب قولا وفعلا.

ان كل الممارسات الدينية من طقوس وشعائر داخل رحاب زيارة الاربعين كطابع فكري حضاري ثقافي مختلف يتجه الى ان يكون موحدا مضمونا وشكلا معبرا عن اخلاص الاسلام الروحي من خلال سلوك الافراد المسلمين المختلفين في حضارتهم وثقافاتهم.

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
المجلد الثاني, العدد الثاني,الجزء الثالث السنة الثانية

المحور الثاني
منظومة القيم الدينية الأنثروبولوجيا لزيارة الاربعين بين الشعوب

ان منظومة القيم والثقافة الإسلامية بمفهومها الروحي الواسع وتحت مظلة الدين الاسلامي أقرب الى شخصية النبي ﷺ وسلوكياته المنبثقة من شخصه الكريم والمتفرد في كل شيء انساني ونموذج مثالي يقتدى به في كل عصر وزمان ومكان وحدث اسلامي وغير اسلامي إذ ان الثقافات الاخرى لدول مجاورة او متباعدة او متعددة ومختلفة تعتنق الديانة الإسلامية ما هي الا سوى امتداد واتمام لأصلها الذي انبعثت منها وبيئاتها التي هي حاضنة لها كرحم ولدت منه محملة بقيمها الانسانية العليا ضمن المنظومة الاخلاقية.

ان المواقف الصعبة هي التي تكشف معدن الرجال وفي المهمات الصعبة دون غيرها إذ لا يمكن ان نرى ونشاهد ونسمع الكثير من المواقع الإنسانية الإسلامية في زيارة الاربعين المباركة، انما تقدم أعلاه لم يكن صدفة او ظاهرا لكلام يقال اعتباطا وانما اعترافا صريحا بالمواقف التي يشهد لها القاصي والداني بعيدا عن العرق والجنس والثقافة المختلفة للأخر الذي يتواجد في مثل هذه المناسبة الدينية العالمية إذ لا يوجد شيء مادي ملموس لتفاضل الثقافات او الحضارات او ان هذه القطعة الجغرافية الثقافية او البيئة التي جاء منها الزائر انها لا تتفاعل ايجابيا مع ثقافة وعادات وتقاليد الشعب العراقي المسلم.

ان نظرية التثاقف بين الشعوب وفي مناسبات ذات حشود مليونية سواء كانت دينية او سياسيه او اقتصاديه تتفاعل مع التوجه العام لهؤلاء الشعوب والقوميات المتنوعة وحضاراتهم المختلفة إذ يكون هناك خط واصل ومتصل تلمس فيه الروح الإسلامية التي تبحث عن كل ما هو انساني وخلاق.

ان أنثروبولوجيا العلاقات الاجتماعية البناءة التي تنبثق من زيارة الاربعين

والمتشابكة في غالبها المعاش يوميا طيلة فتره الزيارة اعلاه من عرب وغير عرب عراقيين واجانب ومن شعوب مختلفة في اللون والجنس والعرق والحضارة ما يكفي من المبررات لوضع التوجهات التي يفكر بها وفيها الفرد والجماعة في آن واحد، فالفكرة الأساسية تكاد تكون خالصه لما يكون اليه التوجه من قدسية وسمو الرسالة الإنسانية التي يحملها الامام الحسين عليه السلام وفي مجالات متعددة من الحياة التي يعيشها المسلم.

ان علم الأنثروبولوجيا المعاصر يعني بكل ما يهم ويهتم به الانسان اجتماعيا مع اخيه الانسان الاخر من حيث المباشرة والوضوح والتحديد في الاهداف التي رسمت مسبقا موظفة بشكل عملي في إمكانية معرفة الموقف الذي يترتب عليه الفرد والجماعة السائرين في موكب او مواكب جماعية ناتجين لفعل اجتماعي موحد كونه الصانع الحقيقي لمجد الانسان الذي يسعى الى ان يبذل الجهد المادي والمعنوي للوصول الى غايته المنشودة والبحث عنها في روحانية فضاء زيارة الاربعين (لاهاي عبد الحسين، ٢٠٠٦، ص:١١).

ظهرت زيارة الاربعين المباركة في وقت سابق ولزمن بعيد ومختلف عن زماننا الحالي او المعاصر الذي نعيشه الان وقد شغلوا المحبين لآل البيت عليهم السلام بموضوعات وقضايا وامور غير التي شغلنا ونشتغل بها الان من حيث المفردات والوحدات والاليات التي تصب في رحاب زيارة الاربعين الا ان بعد هذه القرون التي مرت بها زيارة الاربعين وافتراقنا عنهم بفعل الزمن البائد فان المشروع المقام الان نستطيع ان نتلمس من خلاله خطاهم التي اسسوا لها وملامسة افكارهم من خلال المسموع والمقروء والمحكي بواسطه الزائر/ الوافد الاتي من شعوب مختلفة لها منظومتها القيمية الدينية الأنثروبولوجيا ومن جغرافية وبيئة وحضارة وبلد اخر.

ربما سؤال يتبادر الى الذهن مفاده كيف يتشكل الوعي الانساني عند الانسان في

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
المجلد الثاني، العدد الثاني، الجزء الثالث السنة الثانية

المجتمع المسلم؟ وكيف يتحدد ويسير ويتوجه وما يقوده في تفكيره الذي يختلف به عن غيره من الناس او الشعوب او المجتمعات او الثقافات غير الإسلامية؟ انما هو امر في غاية الأهمية فضلا عما ينطوي عليه من متعه التأمل والتصور والتفكير المجرد. (لاهاي عبد الحسين، ٢٠٠٦، ص:١).

ان الانسان بطبعه اجتماعي، وان لم يكن من ضمن منظومته المجتمعية القيمية الأنثروبولوجيا إذ لديه الرغبة القوية في ان يكون ضمن جماعات مجتمعية تحميه من تقلبات البيئة التي استقر فيها وعليها، إذ ربما تكون مشاكسة او ان يكون هناك خطر محدق يهدد هذه الجماعات او المجتمعات، وبالتالي يكون بمنأى عن الاخطار التي تحيط به وفي الوقت ذاته موجها فكرة الفردي الى الجماعة ليكون احد افراد المجتمع كي تذوب شخصيته الفردية بكل ما تحمل من ثقل ثقافي متراكم، وخزين معرفي من الخبرة في منظومته المجتمعية مع ما يمارسه من العادات والاعراف والتقاليد والمعتقدات الراسخة في ذهنه ومستحوذة على كيانه الانساني الفردي فالزائر في زيارة الاربعين يجسد ما تقدم اعلاه فمن روح اخلاقية اسلامية تغذيه يُعبِّر عن الشعور الانساني في نقل الاحداث التي تعاصره، والتي تكون متزامنة في حياته التي يعيشها في بيئته المجتمعية ضمن المنظومة الاجتماعية الخاصة به.

ان التفكير الاجتماعي يشكل انساقا فكرية متكاملة، ومنظمة تعبِّر عن رؤى منسجمة للإنسان والواقع الاجتماعي الطبيعي فهو في مجمله مجموعة من التصورات والافكار والمواقف التي لا تحكمها نسقيه موجودة، وذلك بالمفهوم العلمي الحديث للنسق(system) كمنظومة نظرية ومفاهيمية لتنظيم المعرفة، على ان التفكير في المجتمع عملية فكرية واضحة، واجتماعيه ملازمه لظاهرة الاجتماع الانساني، وبروز المجتمع البشري حتى في ابسط اشكاله وتكويناته المتمايزة:

كـ (قبيله، عشيرة، مدينة، مجتمع) وهو امر تفرضه طبيعة الاجتماع البشري ذاته

بمختلف حاجاته المادية، والمعنوية ومشكلاته الفكرية والسياسية والتنظيمية ما يستوجب التفكير في هذه الجوانب كلها في محاوله انتاج معرفة حولها لفهم طبيعتها، ومساراتها اولا ثم التحكم فيها وتوجيهها ثانيا. (محسن، ٢٠١٥، ص:٢٨).

ان المعتقد الديني ليس انتاجا نتاجا ثانويا بعيدا عن التطور الاجتماعي، لكنه واحد من العناصر الاصلية التي تساهم في بناء المجتمع، فالثقافات للشعوب المختلفة المتغايرة في منظومتها القيمية لا ينتج اختلافها وتغايرها عن السهولة التي ترفض بمقدارها المجتمعات الوجوه المعيشية الممكنة، او اجتهادها فيه وتحسينها فحسب ولكنه راجع ايضا للعملية المعقدة الدقيقة، عملية نسج خيوط الثقافة وحبكها (ريد، بدون، ص:١٣).

ان العوامل الفكرية للقيم المجتمعية الاسلامية ترجع في عمقها التاريخي الى بنية المجتمع العربي قبل وبعد الاسلام، التي تميزت عن الفكر المؤطر بمنظومته القيمية والقومية متزامنة مع دخولها في المنظومة الإسلامية، على ان هذا التلاقح والتواشج والتواصل ما بين هذه المنظومات المختلفة والمتشابهة في الوقت ذاته، شكلت نمطا فكريا اجتماعيا معرفيا ذو سمات متميزة عن ما هو موجود من مجتمعات متعاصرة معها ثقافيا وايدلوجيا، كان من ابرزها تبلور نهج ثقافي معرفي اجتماعي اسلامي له لونه الخاص في عملية تعاطيه مع المناسبات الدينية والاجتماعية باحتفالية مؤطرة بمظلة اسلامية قيمية أنثروبولوجيا.

ان التراث الثقافي الديني قد ينبثق مرتبطا بشروط تاريخية محددة، الا انه لا يموت بتغير هذه الشروط التاريخية، فاكتساب القيم الثقافية والتخلي عنها يتم وفقا لمعطيات أنثروبولوجيا اجتماعية بطيئة ومن ثم نجدها في احيان كثيرة ليست انعكاسا مباشرا للشروط المادية القائمة، إذ قد يتأسس نوع من الاستقلال للبناء الفوقي للثقافة مثلا نتيجة لانتشار منتجات الوعي البشري مكانيا، ويرتبط بذلك إمكانية اكتسابها لوظائف جديدة، وفي ذلك بالطبع الغاء لتبعيتها لشروط مادية محددة زمنيا ومكانيا واكتسابها لنوع من

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
المجلد الثاني، العدد الثاني، الجزء الثالث السنة الثانية

الاستقلالية الخاصة بها. (ليلى، ٢٠١٠، ص: ١٦).

ان الفكر الانساني أنثروبولوجيا متشاكل من خلال البعد الزمني في ماضيه، وحاضره ومستقبله على ان الاختلاف يكمن في كل بنية مجتمعيه ضمن منظومتها القيمية من خلال (العادات والاعراف والتقاليد والمعتقدات) بملامح وغايات مقصودة لكل مجتمع باحثا عن الحقائق في الوجود متمثلا في الانسان كقيمة عليا والحياة ومسيرتها الطويلة معتمدين في الوقت ذاته على محورين اساسيين كقيم مجتمعية على زمان ومكان كل مجتمع، إذ اختلف الباحثون والنقاد والمتخصصون والعلماء والنقاد في التعمق ثقافيا في فضاءاتها المتنوعة مولدين فكرا جديدا جاء بكل حمولاته الثقافية والمجتمعية لتأتي عالمية زيارة الاربعين كحدث له قيمته المجتمعية مجسدا كل القيم الاخلاقية العليا العربية والاسلامية.

ان الفكر الاسلامي ليس بدعا في ذلك فلقد خاض في كل مجالات المعرفة والمعرفة البشرية أحد هذه العقول الإنتاجية للجمال الانساني إذ تنوعت وتعددت خطاباتها الانسانية الإسلامية في حين انها قد التقت في اصولها ومنطلقاتها الهادفة ومن ثم التمايز في كل عصر ينتج فيها خطابا انسانيا مجتمعيا. (النوري، ٢٠١٠ م، ص:٨).

ان البيئة الاجتماعية لزيارة الاربعين وما فيها من خصائص، ومميزات اعطت تسليما بان الثقافة الدينية وما في حكمها وليدة البيئة والانسان معا، وانها تتكيف وفقا للظروف الاجتماعية لكل جيل او حقبة زمنية، مُشكِّلة الأسس الرئيسية المهمة في إمكانية تعبير الانسان المسلم لخطابه العقائدي وفق تطور المجتمع، بحيث يكون مرآة عاكسة لكل ما هو مهم لمفاصل الحياة الاجتماعية، وتناغمها ومستنده على اهم مرتكزات المجتمع(الاعراف والتقاليد والعادات والمعتقدات) التي يؤمن بها، إذ تكون محرك فاعل في توجيه دفة حياته، مما يؤدي الى تغيير وتحول في الاساليب المطروحة المختلفة قيميا، مع حركه المجتمع وتطوره فهناك اعمال وسلوكيات ايجابية قد أثرَت المشهد الاجتماعي، واصبحت علامات مضيئة

في استلهام مفاهيم وافكار اساسية في نهضة وتطور المجتمع ثقافيا ودينيا وأنثروبولوجيا.

توجد علاقات متداخلة مختلفة بقوة ما بين منتج الخطاب الديني والمجتمع تدور ضمن منظومته القيمية، تؤطره بإطار مجتمعي فالاستمرار والتواصل في هذه العلاقة المتبادلة والوظيفية النفعية الادائية في ذات الوقت، تعد احد العوامل في بلورة فكر اسلامي عراقي بامتياز باثّاً رسالة جمالية للمستقبل الذي يستشرفه، من خلال خطابه الانساني، معيدا صياغه الافكار المطروحة سياسيا واجتماعيا وثقافيا بشكل عملي تطبيقي على ارض الواقع، بطريقة لها كامل استقلالها الثقافي مدركا ومعبرا عن كل هموم الواقع المجتمعي المترابط والمتماسك عقائديا والتعبير عنه روحيا واسلاميا.

ان لكل مجتمع منظومته القيمية المختلفة عن الاخرى، من حيث الثقافات والعادات والتقاليد، فإن اختلاف البيئة المجتمعية من مكان الى اخر ومن شعب دون شعب سوف يلقي بظلاله على بقية شرائح المجتمع المختلفة، في انتاج سلوكيات تنبثق من رحم هذه المجتمعات ووفق ارثها الثقافي والسياسي والفكري، موظفة كل هذه المرجعيات في رفد الحركة الفكرية والادبية والدينية برصيد هائل من المعلومات المتنوعة التي تخدم مناسبة زيارة الاربعين.

توجد وظيفة هامة للشخصية الأنثروبولوجيا الاجتماعية، فالشخصية الاجتماعية يجب ان تُشبع للكائن الانساني احتياجاته الدينية، والتي هي جزء اصيل من تكوينه، والدين كما استخدمه هنا لا يعني نظاما يتضمن مفهوما معينا للرب او المعبودات بعينها أو حتى نظاما ينظر اليه باعتباره دينا وانما اعني (نظاما للفكرة والعمل المشترك في اعتناقه جماعة من الناس، يعطي لكل فرد من الجماعة إطارا للتوجه وموضوعا يكرس من اجل حياته)، ان دينا بعينه طالما هو قادر على تحريك السلوك، ليس مجرد مجموعة معتقدات وشرائع وانما هو ايمان مغروس بجذوره في البناء الخاص للشخصية الفردية، وطالما هو دين جماعة من البشر

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
المجلد الثاني، العدد الثاني، الجزء الثالث السنة الثانية

فان له جذورا في الشخصية الاجتماعية ايضا. (فروم، ١٩٨٩، ص:١٢٨).

ان الجماعات البشرية التي تأتي وافدة في زيارة الاربعين تدخل ضمن منظومة اجواء الحدث الاسلامي السنوي اعلاه فمجتمع زيارة الاربعين بالرغم من الاختلاف بين الحضارات والشعوب والعادات وبيئاتها التي جاءت منها الطبيعية المحيطة بها او مجتمعها الذي استقرت وعاشت فيه ناقلين كل هذا الكم النوعي من السلوك الجمعي والفردي الى اجواء زيارة الاربعين دون ان يكون هناك تقاطع يذكر في سلوكهم الشخصي وبقية الزائرين المتواجدين معهم في نفس المكان والزمان المحددين إذ (يؤكد علماء الاجتماع بصورة عامة وعلماء الانثروبولوجيا بصورة خاصة، مدى أهمية نوع التكيف الذي يتم بين الجماعات المختلفة وبيئاتها الطبيعية المحيطة بها، والى أي مدى تؤثر هذه الظروف في تفسير العلاقات والنظم السلوكية دون الإقرار بحتميتها وسيطرتها على فعاليات تلك الجماعات). (أكرم، ١٩٨٩، ص:١٣٨).

ان علماء الأنثروبولوجي باختلاف اتجاهاتهم يهتمون بالظروف الجغرافية والبيئية للمجتمع الذي يدرسونه، لغرض التعرف على علاقة إنسان ذلك المجتمع ببيئته، (البياتي، ٢٠٠٥، ص:١٣٨)، وهذا ما نلمسه في الممارسات والسلوكيات المجتمعية التي تحدث في اجواء الزيارة الاربعينية في التعامل الانساني الاخوي من قبل جميع الاطراف والفئات العمرية والجنسيات المختلفة.

ان الظروف الزمانية والمكانية التي يمر بها الشعب العراقي ككل خصوصا فيما يعرف بفترة ما بعد سقوط النظام السياسي البائد ما قبل ٢٠٠٣م تمثل نموذجا مثاليا لطرح موضوع زيارة الاربعين المباركة مع التغير الاجتماعي الذي حصل ويحصل للبنى المكونة لشرائح المجتمع العراقي المعاصر، فضلا عن ان ظاهرة زيارة الاربعين اصبحت من اهم المظاهر الحضارية لتواشج وتلاقي الشعوب المختلفة ولحضاراتها المتنوعة وباستمرار

زمني متواتر في محرم الحرام وصفر الخير.

ان تأثير هذه الزيارة اعلاه أصبح واسع النطاق ويأخذ مديات كبيرة وواسعة بفضل التطور الحاصل عالميا وتكنولوجيا وعلميا ومن خلال وسائل التواصل الاجتماعي والقنوات الفضائية المختلفة في العالم اجمع منها المسلم وغير المسلم على ان وسائل الاتصال الجماهيري المتمثلة بأصحاب المواكب الحسينية والمؤسسات الحكومية ومنظمات المجتمع المدني الداعمين لهم وبكل الامكانيات المتاحة والمتوفرة آنيا في وقتها لهم اليد الطولى في انجاح مثل هكذا تجمعات بشرية حاشدة كبرى في عالمنا المعاصر الذي نعيش فيه الان.

ان وعي الشعوب والامم لهويتها وتشكل حضاراتها لا يتحقق الا عبر مخاضات عسيره تنكشف عند بعض المحطات الكبرى من تاريخها لتتخلد هذه المحطات في الوجدان والذاكرة الجمعية وتشكل إطارا لوعيها وأيديولوجيتها (عاشوراء، ٢٠١٠، ص:٣).

ان زيارة الاربعين المباركة واحدة من اهم المحطات التي تمتلك أيديولوجيتها من ذاتها ولذاتها المعنوية وتُعد من اهم الاحداث في تاريخ الاسلام والمسلمين والتي شكَّلت ظاهرة اجتماعيه عقائدية مميزه في تكوين الوعي الجمعي لشريحه كبيرة ومهمه من المسلمين على اختلاف شعوبهم وحضاراتهم التي وفدوا منها وفي الوقت ذاته لديهم الرغبة في اعلاء القيم الإنسانية العليا التي جاء بها الاسلام المحمدي بصورة مشرقه بعيدا عن كل الفئوية وضيق الفكر والابتعاد عن الاخر المختلف وانما هناك توافق وتآلف في رفد هذه الظاهرة الإنسانية الإسلامية بكل ما هو انساني ونهج مستقيم.

ان زيارة الاربعين تعد ظاهرة اجتماعية أنثروبولوجيا دينية متفردة إذ تعد من اهم التجمعات البشرية المعاصرة في عالمنا المعاش اليوم اذ تضرب بعمقها الفكري بعيدا عن الزمن الذي تولد فيه كل عام الى مواقف تتجلى فيها المعاني الإنسانية والحضارية حيث الخلود لوجدان المسلم التواق الى رؤية انسانية إسلامية تأخذ بيده بعيدا عن الحدود

والانحراف والأعراق والاجناس والتقاليد والذوبان في عنوان كبير هو زيارة الاربعين.

زيارة الاربعين من حيث التكوين والصورة تمثل حدثا واقعيا تاريخيا مكثفا وغنيا بالأحداث والوقائع الاجتماعية، ثريا بالمعاني والدلالات وهي بهذا المعنى محطة تجاوزية، تجاوزت مداها الخاص منذ لحظة قيامها الى المدى الرحب الاوسع الى مدى اسلامي ابعد من حدودها المذهبية والى مدى انساني اوسع من إطارها الحضاري ولأنها كذلك فهي تستعصي على حصرية الكلية الطائفية او حتى على حصرية الدين لتغدوا ملكا انسانيا عاما وكنزا معرفيا ووجدانيا تغدق عطاياها على الاقارب والاباعد على حد سواء من هنا تتوالد جداره وتألق زيارة الاربعين بالاستعادة وتكرار الاستعادة سنويا.

ان معرفة الغير/ الاخر في الطريق المؤدي الى المولى المقدس ﷻ والتعمق والتواصل معه لتحقيق تطلعاته واماله والتي ستكون عند تحقيقها معرفة صاحب الموكب نفسه كخادم في طريق زيارة الاربعين فالمبادئ والطرق والاساليب رغم تعددها واختلافها وتنوعها الانساني ولكنها تبقى تحت مظلة إسلامية انسانية وهذا الاسلوب في المعرفة والتعايش مع الاخر الذي ادهش العالم من خلال تقديم الخدمات بكافة انواعها الاجتماعية والاقتصادية معنويا وماديا إذ يجدها الزائر متلائمة كلها ضمن سياق الحدث الكبير لزيارة الاربعين فيمكن القول(ان نغذي انفسنا بصورة مشروعة الامل في ان يرى الانسان ينتهي الى مستقبل لا يكّون رؤيا أرضية مظلمة او مثلا طبيعيا). (كاربانتيه، ١٩٨٤، ص:١٠).

ان تفاعل افراد المجتمع العراقي بكل اطيافه وشرائحه المختلفة وفي معظم المحافظات والاقاليم العراقية فيما بينهم من جهة وبين الوافدين اليهم من جهة اخرى المختلفين عنهم في اللغة والقومية والعرق والجنس وبيئاتهم المتنوعة التي جاءوا منها

وفي ذات الوقت متواجدين معهم من خلال ولائهم الاجتماعي العقائدي ضمن عنوان كبير وواسع وانساني هو النموذج الانساني الاسلامي المثالي الذي تجسد بشخصية الامام الحسين عليه السلام.

ان الشعائر الحسينية التي تظهر بشكل ادائي عقائدي في زيارة الاربعين من خلال الانسان مع اخيه الاخر المشترك معه في همومه واحزانه وقضيته المقدسة التي امن بها وجاء سعيا حثيثا من اماكن بعيدة ونائية كي يوثق ويسجل اهم حدث اسلامي معاصر أنثروبولوجيا في عالمنا اليوم، ايمانا عميقا من الكل المتواجدين في زمكانية الحدث العالمي لزيارة الاربعين، انه سياتي يوم ستعرف فيه مجتمعاتنا المختلفة ساعات من الغليان الايماني الخالص الخلاق بمعنى الكلمة لوضع صيغ جديده متوالدة من رحم هذه المناسبة الاسلامية الدولية والتي ستصلح لاستشراف مناخات حسينية مفعمة بالود والاحترام المتبادل بين جميع الاطراف المختلفة كشعوب وحضارات وعلاقاتهم المبينة على احترام الآخر والتفاهم معه والاشتراك بكل الجزئيات والعموميات التي تخدم مسيرة حدث زيارة الاربعين.

تُعد زيارة الاربعين ظاهرة انسانية تعاش في حينها إذ ان المحبين لأهل البيت عليهم السلام يشعرون انهم بحاجة الى ان يعيشوا هذه الفضاءات الثقافية الدينية لهذه المناسبة العظيمة بين الحين والاخر مع الاتيان بالجديد في سلوكهم الجمعي ومن خلال الجهود المبذولة بكل صدق واخلاص وطرح افكار جديده في الحفاظ على التراث الانساني الاسلامي بواسطة مراسيم اداء زيارة الاربعين المباركة التي تحيا بانتظام سنوي لنجد ثمارها روحيا ومعنويا عند ضريح المولى المقدس ابا عبد الله الحسين عليه السلام.

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
المجلد الثاني، العدد الثاني، الجزء الثالث السنة الثانية

النتائج والاستنتاجات:

اولا: النتائج:

١. ان ارتفاع وعي المؤسسات الدينية والثقافية تزامن مع ارتفاع وعي المواطن الموالي المحب لآل البيت عليهم السلام والمواكب للتحولات الاجتماعية والثقافية معا إذ جاءت متطابقة مع توجهات المفهوم النخبوي للثقافة الاجتماعية، مما ترتب عليه تبلور فكرة تواشج في أنثروبولوجيا حضارية ثقافية ذات لون ومسحة وصبغة مضمونها المنبثق من زيارة الاربعين المباركة.

٢. ان تنوع واختلاف وسائل الاعلام المسموع والمرئي والسلطات العامة دولة كانت ام مؤسسات ثقافية ودينية وجمعيات اهلية ومواكب حسينية ادى الى انتاج ثقافة حضارية متنوعة وحسب التقاليد الوطنية وبيئاتها التي احتضنتها فكريا وثقافيا والتي انبثقت منها مما ادى هذا التنوع أنثروبولوجيا الى استجابات متزايدة من قبل الحشود المليونية المتزايدة في انجاح الزيارة الأربعينية لكل ابعادها الإنسانية والحضارية بين الشعوب المتآلفة في ذروه الزيارة الأربعينية.

٣. تجسد مفهوم أنثروبولوجيا الازدهار الثقافي في زيارة الاربعين من خلال تحقق في ظروف انفتاح الثقافات البشرية المتنوعة على بعضها البعض ليتألق مفهوم المثاقفة في بعده الحضاري ذو التوجه الانساني وايجاد وخلق جسور من التفاني والتفاهم الانساني.

٤. تحقق مفهوم الدراسة الأنثروبولوجيا لمشهد زيارة الاربعين في بُعدها الفكري الحضاري من خلال تَبني صور وافكار اولى فرضتها الملاحظة ودفعت اليها المقارنة إذ ان هذين البُعدين اعلاه في طريقة البحث الأكاديمي الميداني التطبيقي اسس له من خلال دراسة أخذت على عاتقها كل سبل البحث العلمي الرصيد ومن قِبل باحثين وعلماء متخصصين في شأن الثقافة الدينية والإسلامية.

٥. ادمجت الافكار والسلوكيات المختلفة لكل الاقوام المتنوعة حضاريا وفكريا مع بعضها

البعض في ان واحد ضمن طقوسها الموحدة في مواكب مهيبة ومسيرات منظمة وعناوين بارزة ملهمة للسلوك الانساني الخلاق في اتجاه أنثروبولوجي واحد يرفد زيارة الاربعين لكل ما هو عالمي ويخدم الاخر دون أي تفرقة عنصرية لإنسان دون اخر.

٦. انبثقت من أنثروبولوجيا العلاقات الاجتماعية البناءة لزيارة الاربعين المباركة والمتشابكة في غالبها المعاش يوميا طيلة فتره الزيارة اعلاه ما يكفي من المبررات لوضع التوجهات التي يفكر بها وفيها الفرد والجماعة في آن واحد، فالفكرة الأساسية تكاد تكون خالصة لما يكون اليه التوجه من قدسية وسمو الرسالة الإنسانية التي يحملها الامام الحسين عليه السلام.

٧. شكلت العوامل الفكرية للقيم المجتمعية الاسلامية في عمقها التاريخي الى بنية المجتمع العربي قبل وبعد الاسلام، التي تميزت عن الفكر المؤطر بمنظومته القيمية والقومية المتزامنة مع دخولها في المنظومة الإسلامية، إذ تبلور من خلالها نمطا فكريا اجتماعيا معرفيا ذو سمات متميزة عما هو موجود من مجتمعات متعاصرة معها ثقافيا وايدلوجيا، له لونه الخاص في عملية تعاطيه مع المناسبات الدينية والاجتماعية باحتفالية مؤطرة بمظلة اسلامية قيمية أنثروبولوجيا.

٨. اختلف الباحثون والنقاد والمتخصصون والعلماء والنقاد في التعمق ثقافيا في فضاءات عنوان زيارة الاربعين مولدين فكرا جديدا جاء بكل حمولاته الثقافية والمجتمعية لتأتي عالمية زيارة الاربعين كحدث له قيمته المجتمعية مجسدا كل القيم الاخلاقية العليا العربية والاسلامية.

الاستنتاجات:

١. ان مفهوم المعنى المزدوج للزيارة الأربعينية اي روحانيتها وبعدها الفكري الحضاري الانثروبولوجي الديني والواقعي والوطني لامتلاك العراق كدولة وكربلاء كمدينة لها قدسيتها الدينية والحضارية المتجسدة من خلال فضاءاتها وخصوصيتها المتفردة في الحدث العالمي لزيارة الاربعين وجغرافيتها المنبسطة والمنفتحة طبيعيا، إذ على العراق

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
المجلد الثاني، العدد الثاني، الجزء الثالث السنة الثانية

كدولة ونظام سياسي ان يستثمر حدوده الممتدة والواسعة بين البلدان الاسلامية المختلفة المحيطة به وشكل جغرافيتها وشعوبها وحضاراتهم المتنوعة ذو البُعد الفكري الأنثروبولوجي والسوسيولوجي والحضاري والاقليمي لما لها من الاهمية الدينية والروحية والجمالية والاسلامية بعناية فائقة خدمة للغرض الذي يأتي بثماره في حينها وقت زيارة الاربعين المباركة.

٢. ان أنثروبولوجيا السلوك الانساني في الحدث العالمي لزيارة الاربعين شكلت الفارق بين التشرف بالخدمة للزائر التي تكون غير الزامية من قبل مقدمين الخدمة لهم وانما هو اختياري إذ ان الزائر يقوم بأداء مراسيم الزيارة بكل يسر وسهولة وخشوع ضمن طقوس خاصة لروحانية زيارة الاربعين وليست مجرد تقاليد عليه اتباعها وادائها في مكان وزمان معين بالذات او ان تفرض عليه من جهة اخرى وانما يجد نفسه وعن اقتناع تام وشعور يملأه الايمان وحب آل البيت عليهم السلام وتمسكه بهم وترابطه الروحي مع عنوانهم العقائدي في انجاز عمل عبادي تعبدي مستحب حين وصوله الى مرقد وضريح الامام الحسين عليه السلام.

٣. ان الباحث الجاد في الجوانب الأنثروبولوجيا والتراثية يكتشف ان ما يلاقيه من صعوبات في مقدمتها المشروع الثقافي المضاد الموجه في الضد من عالمية زيارة الاربعين المباركة فالبحث والتقصي عن الجوانب الاجتماعية في اعمالهم التي ترفد التوجه العام للحدث العالمي لمثل هكذا مناسبات لها خصوصيتها الخاصة و في ظل امم فرضت بقوتها وسلطتها وقمعها ما جادوا به بأرواحهم واموالهم بسبب التمزق الطائفي وعدم الاستقرار في اوطانهم والتي تقف وراءها الماكينة الإعلامية المضادة سابقا وحالياً، وسلسله تكاد لا تتوقف من المحن والمؤامرات والحروب الأهلية والعقائدية والطائفية إذ يمكن ان يُعبّر الزائر في زيارة الاربعين عن رؤيه متفتحة غير متعصبة عندما لا يرى ضيرا في تلقي الخدمات من الاقوام الاخرى التي تدخل في منظومة خَدَمة المواكب الحسينية.

٤. ان مفهوم الأنثروبولوجيا لزيارة الاربعين جاء وفق المنظومة القيمية من خلال العلاقات

المتداخلة مع بعضها البعض لكل الشعوب وقومياتهم المختلفة بحيث اصبحت ظاهرة مجتمعية موجودة في كل المستويات الدلالية والمعنوية والدينية والعقائدية لان تجسيد القيم الإنسانية الإسلامية العليا ممكن ان نمسكها بكل وضوح في ممارسات وسلوكيات افراد المجتمع العراقي التواق الى تقديم الخدمات المجانية والتواصل مع الاخر بكل رحابة صدر وبدون قطيعة معينة مبتعدين عن الفئوية والنظرة الضيقة للأخر المختلف.

التوصيات:

استحداث مادة علم أنثروبولوجيا زيارة الاربعين وجعلها من المواد الاساسية ضمن المناهج الدراسية العلمية الاكاديمية لطلبة الدراسات الاولية في الكليات العراقية لما تتمتع به المنظومة القيمية الاسلامية من تنوع في الابعاد الفكرية والاخلاقية.

المقترحات:

١.١. التماسك الفكري للعلاقات الحضارية/ زيارة الاربعين انموذجا.

٢..البعد الروحي للعلاقات الحضارية بين الشعوب/ زيارة عاشوراء انموذجا.

المصادر:

القران الكريم.

١. ميشال افراجونار، التيارات الثقافية الكبرى في القرن العشرين، تر: محمد كامل ظاهر، دار البيروني بيروت، ط١، ٢٠٠٤.

٢.. مصطفى محسن، الخطاب السيسيولوجي، المركز الثقافي العربي ط١، ٢٠١٥ م، الدار البيضاء، المغرب.

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
المجلد الثاني، العدد الثاني،الجزء الثالث السنة الثانية

٣. هربت ريد، الفن والمجتمع، تر: فتح الباب عبد الحليم، مطبعه شباب محمد(ص)، مصر.

٤. علي ليلى، التعبير الاجتماعي والثقافي، دار المسرة، ط١، ١٤٣١ هـ- ٢٠١٠ م، عمان، الاردن.

٥. قيس النوري، رحله الفكر الاجتماعي، دار مكتبه البصائر، ط٢، ١٤٣١ هـ- ٢٠١٠ م، بيروت، لبنان.

٦. أريك فروم، الانسان بين الجوهر والمظهر، تر: سعد زهران، عالم المعرفة، ١٩٨٩م، الكويت.

٧. جيلبير دوران، الأنثروبولوجيا رموزها واساطيرها وانساقها، تر: مصباح الصمد، ط٣، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

٨. عاشوراء النصر والوظيفة، دار الملاك، ط١، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م، بيروت، لبنان.

٩. حبيدة، محمد، الأنثروبولوجيا من البنيوية الى التأويلية، افريقيا الشرق، ط١، ٢٠١٤، الدار البيضاء، المغرب.

١٠. علاء الدين جاسم البياتي، علم الاجتماع بين النظرية والتطبيق، مصدر سابق، ص ١٣٨.

١١. اكرم غلام محمد،

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
w w w . a r b n j . c o m
المجلد الثاني , العدد الثاني,الجزء الثالث السنة الثانية